

جامعة المنستير
المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بالمهدية
جمعية الإبداع الثقافي

الكتاب السنوي
الثالث

أعمال الندوة العلمية الدولية
يومي 1 و 2 نوفمبر 2018
حول موضوع:



التعليمية ودورها في تنمية كفاءة المدرس

تأليف
مجموعة من الباحثين

تحت إشراف:
د. عمر الخماري
و د. سامي التباب

تونس، 2019

طبع هذا الكتاب على نفقة جمعية الإبداع الثقافي
بالمعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات بالمهدية

الكتاب: الكتاب السنوي الثالث أعمال الندوة العلمية الدولية حول موضوع
"التعليمية ودورها في تنمية كفاءة المدرس" يومي 1 و 2 نوفمبر 2018 بالمهدية
الجمهورية التونسية.

تأليف: مجموعة من الباحثين.

الطبعة الأولى: 2019.

عدد الصفحات: 336.

القياس: 15 \ 21.

الإخراج الفني: عمر الخماري.

تصميم الغلاف: مريم الشول.

طبع مطبعة: الشركة العامة للطباعة والورق المقوى، صفاقس.

كمية السحب: 1000 نسخة.

جميع الحقوق محفوظة لجمعية الإبداع الثقافي بالمهدية.

سعر النسخة الواحدة بالجمهورية التونسية: 15 د . ت. € 20

All rights reserved. No part of book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخريبه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

الترقيم الدولي: ISBN : 978-9973-0930-2-8

تونس 2019

المحتوى

- 05 التفتيم
- 07 1 عمارة الجذاري: تعليمية الأدب في البرامج الرسمية للتعليم
الناوي.
- 26 2 منذر منور: تذليل صعوبات التعلم من رهانات تعليمية المواد.
- 44 3 نادية العمري: تطوير آليات إعداد معلمي اللغة العربية
لناطقين بغيرها شروط بناء كفاية لغوية ثقافية متعددة.
- 63 4 صالح الأحمدني تشكّل الفعل التعليمي التعليمي بين
البيداغوجيا والذبداكتيك.
- 86 5 نجاة الطاهر فرفال: النقل الذبداكتيكي في تعليم العربية لغير
ناطقين بها: من النظري إلى الإجمالي: (أسماء الإشارة مثلا).
- 109 6 طارق بولخصام: التفتيمات الحديثة ودورها في العملية التعليمية.
- 138 7 بلقاسم الوسلاي: كفاءة المدرس التعليمية تفسير الخطأ
المدرسي اللغوي نموذجاً.
- 160 8 سهام مكّي: بيداغوجيا المشروع وكيفية تطبيقها في تعليم اللغة
العربية دراسة ميدانية بمرحلة التعليم المتوسط.
- 187 9 عبد القادر طالب: تعليمية مواد اللغة العربية لناطقين بها (بين
الواقع والمأمول).
- 215 10 صيحة جلابية: الصعوبات التي يواجهها متعلم العربية
لناطق بغيرها.
- 245 11 حلمي بنصير: الوسائل التعليمية السمعية البصرية: خصائصها

أعمال الندوة العلمية الدولية حول موضوع "التعليمية ودورها في تنمية كفاءة المدرس"

تعليمية مواد اللغة العربية للناطقين بها (بين الواقع والمأمول)

عبد القادر طالب، جامعة أحمد بوقرة - بومرداس، الجزائر

"من أحب العربية وعني بها وثابر عليها وصرف همته إليها، هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وأتاه حُسن سريرة... فالعربية أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد، وهي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة و سائر أنواع المناقب..."

أبو منصور الثعالبي (فقه اللغة وسر العربية)

توطئة:

إن للغة منزلة عظيمة في حياة الأمم والشعوب قاطبة، وذلك لوظيفتها الاجتماعية وفعاليتها الثقافية، فهي أساس الحضارة و مرآة الهوية، إذ التبين في تاريخ الثقافة، أن اللغة هي أكثر أنظمة الإشارات فعالية وأكثرها قدرة على التأقلم وأكثرها وجها من حيث وظائفها التواصلية لخدمة تشكيل الهوية¹.

واللغة العربية ككلّ اللغات لها منزلتها المقدّسة، بل هي أشرف اللغات جميعا عند العرب والمسلمين عامّة، وشرف قدسيّتها، لم يأت عبثا أو من العدم، وإنما تشرّف من الخالق تبارك وتعالى أن أنزل قرآنه بها و أوحى بها على خير الأنام، سيد المرسلين وخاتمهم، قال عزّ وجلّ في محكم تنزيله:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾²

وبموجب هذا التقديس الإلهي للغة الضّاد، فإنّه ليس غريبا أن تحارب وتطأها ألوان من المكائد والدسائس من قبل أعدائها وأعداء أمّتها، وليس عجيبا أن تتعرّض لمهجمات عنيفة، شرسة، لم تتعرّض له لغة سواها، بيد أنّ العجب العجاب والطّامة الكبرى، أن نجد هذه اللغة تهمّش ويكال لها بمكيالين على

¹ محمود السيّد، اللغة العربية (واقعا وارتقاء)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2010، ص 24.

² سورة يوسف، الآيتان [1-2].

أعمال الندوة العلمية الدولية حول موضوع "التعليمية ودورها في تنمية كفاءة المدرس"

أيدي أبنائها، من معلّميها ومتعلّميها، فنظرة خاطفة على "واقعنا اللغوي تكشف لنا بشكل واضح أن تعليم اللغة العربية في محنة لا تقل عن محنة أمتنا في التمزق والتشتت"¹، وبما أنه لا حاضر ولا مستقبل حياةٍ للغة العربية، دون التعجيل في إصلاح حالها داخليا، والإسراع في رأب الصدع و جبر الشرخ الواقع بينها وبين ذويها، اليوم قبل غدٍ، ارتأينا من خلال هذه الورقة البحثية، أن نسلط الضوء على واقع تعليميتها بمدارسنا وجامعاتنا، بتبيان عوامل تقهقر وتدهور تعلّمها عند المتعلّمين الناطقين بها، مع إبداء المقترحات والإجراءات الكفيلة بتحسينها من حملات التشويه والمسح التي تطالها. وقد أثرنا في سياق موضوع بحثنا هذا، جملة من التساؤلات، أبرزها:

فيم تكمن إشكالات تعليمية اللغة العربية في حاضرنا، يا ترى؟ وما الجوانب التي تنبثق عنها؟ أيردُ الإشكال إلى المنهج المعتمد في تدريس موادها؟ أم إلى قصورٍ في القدرات العلمية والعملية لمدرّسيها؟ هل يعزى الأمر إلى افتقار المتعلمين للمهارات العلمية في تلقي موادها ومعطياتها المعرفية؟ أم في انعدام استعداداتهم القبلية وعزوفهم التام عن تعلمها والتعاطي الجيّد مع موادها؟ أم لكل هذه الجوانب وغيرها حظّ التأسيس لهذه الإشكالات واستفحالها بمؤسساتنا التعليمية؟ وما الإجراءات البديلة والمقترحات الكفيلة بتجاوز هذه الوضعية؟

- في ماهية اللغة ومنزلة العربية:

تشير معاجم اللغة إلى أنّ كلمة (لغة) أصلها (لُغَوَة) على وزن فُعْلَة من لَغَوْتُ، أي: تكَلَّمْتُ، وقيل: أصلها لُغَيْ أو لُغَوُ، وتشتق من (لغا يلغو لغوا)

¹ محمود أحمد السيد، في قضايا اللغة التربوية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص 14.

بمعنى (تكلم)، فاللغو: النطق؛ إذ يقال: هذه لغتهم التي يأتون بها أي ينطقون، ولغوى الطير، يعني: أصواتها...¹ أما اصطلاحاً؛ تعني اللغة - حسب تعريف ابن جني - : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.²

فاللغة بمفهومها اللغوي والاصطلاحي عموماً؛ هي همزة التواصل وأداة التفاهم بين الأفراد والجماعات، هذا؛ بغض النظر عن كونها "نظاماً من الرموز أو مجموعة من العادات الصوتية المتعلمة أو رموزاً صوتية منتظمة"³. لكن إذا ما أردنا تحديداً أكثر عمقاً لماهية اللغة، فهي ليست مجرد أداة أو وسيلة للتعبير أو للتواصل أو مجرد شكل للموضوع، أو مجرد وعاء خارجي للفكرة أو لعاطفة أو إشارة إلى فعل، إنها وعي الإنسان بكيئوته الوجودية وبصيرورته التاريخية، وبهويته الذاتية والاجتماعية والقومية وكلية الإنسانية، إنها السجل الناطق بهذه الأبعاد جميعها⁴.

ومن هنا؛ فأهمية اللغة في حياة الأمم جد عظيمة ومنزلتها مقدّسة، لوظيفتها الاجتماعية وفعاليتها الثقافية؛ فهي مرآة الهوية وأساس الحضارة عند الشعوب؛ إذ "تبيّن في تاريخ الثقافة أن اللغة هي أكثر أنظمة الإشارات فعالية، وأكثرها قدرة على التأقلم وأكثرها وجهاً من حيث وظائفها التواصلية لخدمة تشكيل الهوية وهي في ضوء تعقد أشكالها التعبيرية مؤهلة على أحسن وجه

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تصحيح واعتناء: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، (الجزء الثاني عشر)، ط 03، 1419هـ، 1999م، ص 300.

² ينظر: ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، الجزء الأول، ص 33.

³ أحمد عبده عوض، مداخل تعليم اللغة العربية (دراسة مسحية نقدية)، سلسلة البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، المملكة العربية السعودية، 1421هـ، 2000م، ص 09.

⁴ محمود أمين عالم، دفاع عن الخصوصية اللغوية، عن كتاب: لغتنا العربية في معركة الحياة، العدد (السابع والثامن عشر)، سلسلة قضايا فكرية للنشر، القاهرة، 1997، ص 09.

لمواجهة المتطلبات الموجهة للناس في تفاعلهم مع محيطهم الثقافي والتأقلم بمرونة مع الشروط الموجودة في مجتمع متغير"¹.

وللغة العربية ككل اللغات منزلة عظيمة... وما زالت إلى يومنا هذا، شائخة، خالدة في كنف ورحاب كتاب الله تعالى، رغم ما يستهدفها ببلادها وفي غقر دارها من حملات التشويه الملفقة ودعاوى التشكيك المغرضة من طرف نعاتها بدعوى عدم أهليتها؛ بأن تكون لغة للعلوم الحديثة وما يشهده العصر من تطورات، إلا أنّ الخالق تبارك وتعالى قيّض لها من الخلق من يزود عنها؛ ومنى توهم أعداؤها بجفاف ألفاظها أو نضوب معانيها، "ردّ الله تعالى لها الكثرة، فأهّب ريجها ونفق سوقها، بفرد من أفراد الدهر أريب، ذي صدر رحيب وقريحة ثاقبة وعزيمة راتبه ودراية صائبة، ونفس سامية، وهمة عالية، يحبّ الأدب، ويتعصّب للعربية، ... ويجرّك الخواطر الساكنة لإعادة رونقها، ويستشير المحاسن الكامنة في صدور المتحلّين بها ويستدعي التأليفات البارعة في تجديد ما عفا من رسوم طرائفها ولطائفها"².

فكيف للغة بمثل العربية أن يغيب نجمها ويذهب ريجها وقد حباها الله بهذا التكريم وأحاطها بهذه العناية الفائقة؟ وكيف للغة "اتسعت مدلولاتها للقرآن الكريم وآياته، ألاّ اتسع لأن تكون أقدر على التعبير عن مستويات تقدّم

¹ محمود السيد، اللغة العربية (واقعاً وارتقاءً)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2010، ص 24.

² أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، قراءة وتعليق خالد فهمي، الجزء الأول، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 01، 1418 هـ، 1998 م، ص 04.

الإنسان عبر العصور"¹؟، بل هي جديرة بأن تعبر عن معطيات كل علم، وأن تكون وعاء يستوعب كل جديد، يقول الشاعر حافظ إبراهيم على لسانها²:
وَسِعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ
وَمَا ضِيقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ
وتنسيق أسماء لمخترعات
وبناء على هذا؛ فإن أزمة اللغة العربية في عصرنا هذا، لا ترد لها أبداً، ولا تكمن في ذاتها وإنما العيب في أهلها، فهم من يحط من قدرها ويُمكن الآخر من التناول والافتراء عليها؛ فعزّ اللغات بعزّ أهلها لها؛ إذ "لو قدر للغة العربية، أن تحتل في النفوس مكانة من الاعتزاز لا تقبل التشكيك، وإيماننا بقدره العطاء، وطاقة الإبداع لكان يومها أفضل من أمسها وغدها خير الاثنين معاً، بناءً ذاتياً وعطاءً حضارياً وإبداعاً علمياً، وبقدر الإيمان بهذه اللغة والثقة في قدرتها يكون الإنجاز الحضاري"³.

لكن للأسف، فلغتنا اليوم تواجه تحديات صعبة وتمرّ بمحن لا تعدّ ولا تحصى، مبدؤها أزمة تعليمها وهذا ما جعلنا نطرق في هذه الورقة البحثية واقع تعليميتها وتدرّس موادها لأبنائها، بمدارسنا وحديثنا عن تعليمية اللغة يقودنا إلى الحديث عن ثلاثة أقطاب أساسية، حديث عن المحتوى والمنهج المتبع في تدرّس موادها ثمّ حديث عن معلّمها، المسؤول المباشر عن تلقين علومها وما يحوزه من كفاءات تؤهله لذلك، وحديث عن متعلّمها وما له من حوافز إقبال على تعلّمها والإجادة في موادها.

¹ ينظر: عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، دت، ص 252.
² محمد حافظ إبراهيم، المؤلفات الكاملة (الديوان)، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، القاهرة، دت، ص 137.
³ ينظر: صالح الخرافي، اللغة العربية هويتنا القومية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ندوة من قضايا اللغة العربية المعاصرة، تونس، 1990، ص 21.

- في معنى التعليمية:¹

تشير المصادر والمراجع التي اهتمت بمسألة التعليمية (*Didactique*) وقضاياها؛ بأنها "اصطلاح استخدم في الأدبيات التربوية منذ بداية القرن السابع عشر وهو جديد متجدد بالنظر إلى الدلالات التي ما انفك يكتسبها حتى وهتنا الراهن" والبحث في مصدرها اللغوي يكشف أن أصلها يوناني (*Didaktikos* أو *Didaskein*)، "وتعني فلنتعلم أي يعلم بعضنا البعض" وفي اللغة العربية، هي مصدر لكلمة (تعليم) أيضا، حيث تشتق من الجذر اللغوي (علم)؛ "أي وضع علامة أو سمة من السمات لتدلّ على الشيء..."

أما اصطلاحا؛ فإنّ التعليمية علم من علوم التربية، تعنى بالعملية التعليمية التعلّمية؛ فهي "تؤسس نظرية التعليم"، كونها "تقدّم المعطيات الأساسية الضرورية لتخطيط كل موضوع دراسي وكل وسيلة تعليمية"، وبمفهوم آخر؛ التعليمية نظرية تهدف إلى "البحث في المسائل التي يطرحها تعليم مختلف المواد؛ أي ما يسمى ب(تربية خاصّة)؛ خاصّة بتعليم المواد الدراسية (الديداكتيك الخاص أو ديداكتيك المواد)، في مقابل التربية العامّة (الديداكتيك العام)، التي تهتم بمختلف القضايا التربوية حول مقارنة المناهج الدراسية في مجال التربية والتعليم" وبذلك فهي "قادرة على تحقيق النجاح في كل التخصصات لجميع المتعلمين كما أشار إلى ذلك كومينيوس (*Comenius*)"، بحكم تركيز اهتمامها على "الجانب المنهجي المتعلق بتوصيل المعرفة واكتسابها...، تنطلق من أن طبيعة

¹ مراجعنا في تبيان مفهوم التعليمية ودورها:

- ينظر: عبد القادر لورسي ومحمد زوقاري، المعجم المفصل في علم النفس وعلوم التربية، ص 52-55.

- ينظر: عبد القادر لورسي: المرجع في التعليمية، ص 19-48.

- ينظر: نور الدين أحمد قايد وحكيمة سبيعي، التعليمية وعلاقتها بالأداء البيداغوجي والتربية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 08، 2010، ص 36-37.

المعرفة الموضوعية للتدريس تلعب دورا محددًا بالنسبة للتعلم وبالتالي للتعليم... وذلك تهتم التعليمية بالتفاعل القائم بين المعرفة، المعلم المتعلم؛ فهم أقطاب العملية التعليمية، ومرتكزات بنائها.

- إشكالات ومقترحات في تعليمية مواد العربية (قراءة في الواقع والمأمول):
أولاً. الإشكال المعرفي:

ليس بخاف، أن لبرامج المواد الدراسية ومناهجها التعليمية، أهمية بالغة في تطوير عملية التعليم والتعلم وفي بناء الذات المتعلمة وتأهيلها معرفياً، بالقدر الذي يحقق مواكبتها لمعطيات واقعها المتغير، ومجاراتها لتطوراتها السريعة... ولئن كانت العملية التربوية التعليمية قديماً، تتم بصورة تقليدية جافة، يُهمل فيها الدور المنوط بالمتعلم في بناء المعارف وتركيبها، كما لا تراعي برامجها الدراسية استعداداته وميولاته المختلفة، إذ يُلقن هذه المعارف بطريقة آلية، ويلزم في المقابل بتحصيلها وحفظها فحسب، فإنه مع تطور علوم التربية حديثاً يحوّنها المتواصلة في تحسين العملية التعليمية وترقية أهدافها ووسائلها، تمّ تحصيل نظام تدريسي هادف، له مدخلاته وعملياته ومخرجاته حيث تتمثل للدخلات في الأهداف والمناهج والوسائل التعليمية وتمثل العمليات بالطرائق والأساليب المستخدمة وتمثل المخرجات بتحقيق الأهداف التي رسمها المعلم استناداً للأهداف العامة¹، التي تستهدف كليات المادة الدراسية المقدمة للتعلم، وذلك لإدراك من علماء التربية وواضعي مناهجها؛ أنّ نجاعة أيّ نظام تدريسي، مرهونة سلفاً بنجاعة الأسلوب التعليمي المتبع إلى جانب اعتمادها على محتوى المادة الدراسية وأهمية الأسلوب لا تقل عن أهمية محتوى

¹ معاد عبد الكريم الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير - بين التنظير والتطبيق -، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط1، 2004، ص39.

المادة الدراسية"¹، وأمام كل هذه المعطيات والانجازات المحاصلة على مستوى النظام التعليمي حديثا، فما واقع تدريس اللغة العربية اليوم؟
لغة العربية، منزلة عظيمة لمن تعلم علومها وأجاد فيها، فهي السبيل إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) فهما وتفقهها، حيث يقول أبو منصور الثعالبي: "ومن أحب العربية عُني بها و ثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وأتاه حُسن سريرة فيه، اعتقد أنّ محمدا (صلى الله عليه وسلم) خير الرسل، والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهّمها من الديانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب"²

بيد أن واقع تعليم اللغة العربية وما تعايشه في حاضرها مؤسف حقا، فرغم كل ما كتب وأثير حول تعليم موادها بمدارسنا وجامعاتنا من إشكاليات وعقبات تقف حجرة عثرة أمام تحديد مضامينها التعليمية ورغم الجهود الحثيثة للقائمين بشأنها؛ في العمل الجاد على تخطّيها وتيسير موادها بتقريبها من المتعلمين بشكل هادف ومثمر، إلا أنّ لسان حال الدرس اللغوي العربي، لا زال يؤكّد بديمومة عقم مادته التعليمية وجفافها. فإلى من تردّ إشكالات هذا الوضع التعليمي الهزيل لمواد لغتنا العربية يا ترى؟

يلحظ المتابع لمعطيات المقررات التعليمية المعتمدة في تدريس مواد اللغة العربية بمؤسساتنا التعليمية والجامعية، أنّها ولغاية يومنا هذا، لازالت "تتركز على الماضي أكثر من الحاضر والمستقبل، وأنّ ثمة ضعفا في استجابتها لحاجات المجتمع والفرد

¹ المرجع نفسه، ص 39.

² أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، الجزء الأول، ص 03.

المستقبلية وإدراك طبيعة العصر ومستلزماته والإرهاصات بالمستقبل"¹، وطريقة تعلمها قوامها المنهج المعياري العقيم في تلقين المتعلم لعلوم اللغة العربية، ونخص بالذكر هنا؛ مادة النحو ومادة البلاغة العربيين، وهو ما لم يجد مع المتعلم نفعاً علمياً، معرفياً، ولم يزوده بالآليات التي تقتضيها قراءة الإبداع الأدبي الحديث، الذي يشهد "تطوراً واسعاً وسريعاً في شكله ومضمونه وأساليبه وفنونه"²، بل إن ديمومة هذا المنهج التعليمي بمدارسنا وجامعاتنا سيجعل "من تعليم العربية فقيراً، هذا إذا لم يؤد إلى تعميق أزمة تعليم هذه اللغة التي حباها الله بمزايا كثيرة مقارنة بغيرها من اللغات الطبيعية الأخرى"³، وما يزيد من تأكيد وإقرار فرضية موت وعقم مادة لغتنا العربية تعليمياً، وك ممارسة اجتماعية أيضاً.

وبناء على السابق، فإنه بدلاً من إبقاء تعليم مواد اللغة العربية سجيناً لهيمنة المعطيات التقليدية لا بد أن يخضع انتقاء معطيات محتوى تعلم مواد اللغة العربية، إلى التوفيق بين عقب الأصالة وشذى المعاصرة، وأن يكون هذا الانتقاء محققاً لشرط الوظيفية ومن معايير هذه الأخيرة؛ "اختيار المناشط اللغوية السائدة في المجتمع والتي يكثر استعمالها في مواقف الحياة... بحثاً عن مواقف التعبير الوظيفية في الحياة"⁴، إذ لا سبيل إلى وظيفية التعلم بعيداً عن الواقع وبعيداً عن روح العصر.

وبدلاً من المنهج المعياري، التجزيئي؛ بحصر اهتمام المتعلم في الإتيان بالشواهد والأمثلة المنتقاة والمعزولة عن السياقات النصية وبنياتها الكلية، خدمة

¹ ينظر: محمود السيد، اللغة العربية (واقعا وارتقاء)، ص 107.

² ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 378.

³ محمد الحناش، أسباب تدني التحصيل في اللغة العربية، ص 81.

⁴ محمود السيد، اللغة العربية (واقعا وارتقاء)، ص 109.

للقاعدة اللغوية التي تم إحكامها ثم حفظها مسبقا (الطريقة القياسية)، لا بد من النظرة الكلية للنص الأدبي، وفق آليات التحليل والتفسير والوصف والهدف من ذلك؛ أن يكشف [المعلم بمعية المتعلم] عن بنية النصّ بالكامل ويبرز دور مختلف المكونات في خدمة تلك البنية،... يحلل عناصره ويربطها بالمستوى الدلالي للخطاب، ثم يمكنه آنذاك، أن يقدم له اسمه ورسمه وتعريفه...، ليكون المنطلق هو النص والوسائط هي التحليل والخلاصة هي التعريف، وليس العكس¹، فاللغة كما يرى الخبير اللساني المغربي، محمد الحناش، ليست مجرد قواعد نحوية أو شواهد بلاغية ثابتة، تحفظ وتسترجع عند الحاجة، بل هي مستويات لغوية متدرجة؛ إنها أصوات Phonetics وصوارة Phonology وصرف Morphology وتصريف Derivation ودلالة Semantics وتداول Pragmatics ومعجم Lexicon، ناهيك عن هذا، لا بد أن ننظر إلى اللغة بوصفها مهارات تعبيرية، قوامها الكفاية التواصلية والتفاعلية الحوارية عند المتعلمين، ومنه؛ لا بد من توصيف مساق اللغة العربية، يجعلها مساقا نصيا بالأساس، يقوم على ما يطلق عليه في أدبيات اللسانيات التطبيقية "نحو النص" و"تحليل الخطاب"، ولن يصبح هذا متاحا إلا بتبني المحتوى المعرفي للدرس اللغوي العربي لإحدى المناهج الحديثة التي أثبتت فعاليتها في مجال تعليم اللغات العالمية، ونعني بذلك ما أفرزته المدارس اللسانية المعاصرة كالبنوية والتوليدية والتأليفية وهو ما يعرف عند التربويين المحدثين بـ "Didactique" أو ما يصطلح عليه بـ(التعليمية)².

¹ محمد إقبال عروي، آليات منهجية لاستثمار الدرس البلاغي في تحليل النصوص، ص 1167.

² ينظر: محمد الحناش، أسباب تدني التحصيل في اللغة العربية، ص 81.

ولا بهذه الطريقة التي تتناول النصّ كلياً وليس كشاهد منزوع من النصّ، يتحقق شرط تذوقه الأدبي الجمالي؛ إذ يتمّ اكتناه عوالمه والإمساك بخيوط معانيه وحقوله الدلالية في سياقها النصّي العام وليس بالاختصار على الجانب الشكلي التحزيمي؛ فالعمل الإبداعي - كما يراه (جوته) - مثل "البساط الغني بالألوان والأشكال، قد يتوهم المرء أنه يمكنه الوقوف على سرّه إذا هو فضّ نسيجه، ولكن هيهات فلن يبلغ ما يريد، وسيظلّ محجوباً عنه مادامت تخفى عليه الرابطة الروحية التي تتحدّ بها الخيوط"¹، وقد سبق (جوته) إلى هذا القول؛ شيخ البلاغة (عبد القاهر الجرجاني) في كتابه (دلائل الإعجاز)؛ بقوله: "واعلم أنّك لا تشفي العُلّة، ولا تنتهي إلى ثلج اليقين حتى تتجاوز حدّ العلم بالشيء مجملاً إلى العلم به مفصلاً، وحتى لا يقنعك إلّا النظر في زواياه والتغلغل في مكانه، وحتى تكون كمن تتبع الماء حتى عرف منبعه، وانتهى في البحث عن جوهر العود الذي يُصنع فيه إلى أن يعرف منبته ويجرى عروق الشجر الذي هو منه"².

وهذا ما قام عليه الدرس البلاغي العربي على سبيل المثال، في مراحل الأولى، قبل أن يجيد عن منهجه الوصفي وهدفه التذوّقي الجمالي للخطاب الأدبي وتلاشي فعاليته في قواعد المنطق وضوابط المعيارية القاتلة لروح الإبداع، حين نصّب "البلاغيون أنفسهم أوصياء على الإبداع الأدبي من خلال توصيات قنّوها وجعلوها سيفاً مسلطاً على رقاب الأدباء"³، والمؤسف من ذلك، أن توارث هذا القصور حتى وصل إلى منهجنا التعليمي الحديث مع بقية مواد العربية.

¹ ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة العالمية للنشر (لونجمان)، بيروت، ط1، 1994، ص257.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007، ص266.

³ محمد عبد المطلب، المصدر نفسه، ص258.

ثانيا. الإشكال البيداغوجي (المرسل / المعلم):

بعد أن أثرتنا الحديث حول طبيعة المحتوى والمنهج المتبع في تدريس مواد اللغة العربية بمؤسساتنا التعليمية والجامعية، مع الإشارة إلى مواطن القصور والتأكيد على ما يجب أن يكون إنجازا للعملية التعليمية والتعلمية وتحقيقا لأهدافها المسطرة، من جانبها المعرفي بخاصة، نعود لنؤكد في السياق ذاته؛ أنه مهما كان محتوى المادة الدراسية معدا إعدادا جيدا وكان منهج تدريسها كروية تصوورية (ما قبل التطبيق)، ثمرا بأهدافه وآلياته وإجراءاته، فإن ذلك لن يؤدي ثماره ولن يتحقق إنجازه الفعلي دون المسؤول الأول عن تنفيذه وإجرائته، ونقصد بذلك: (المعلم / الأستاذ)، فهو المشرف الرئيس على تطبيق البرنامج الدراسي وتحقيق أهدافه، والمكلف رسميا بإنجاح عملية تدريس المادة المقررة بيداغوجيا حسب الاختصاص.

إنّ التدريس ليس مهمة هيّنة؛ "هو عملية موازنة دقيقة بين أهداف المحتوى والاستراتيجيات اللازمة لتحقيق تلك الأهداف والخبرات التي يكتسبها المتعلم في مواقف التعلم، فهو مفهوم شامل يتضمن جميع الحوادث التي لها تأثير مباشر في تعلم الفرد"¹، والحديث عن المعلم ودوره في إنجاز العملية التعليمية، هو حديث عن إشكالية بيداغوجية في تعليمية اللغة العربية حديثا؛ ترتبط بعينات كثيرة من مدرّسي هذه اللغة العظيمة، لطلبة معاهد وأقسام اللغة العربية وآدابها بخاصة. حيث نلاحظ أنّ الكثير من المدرّسين لهذه اللغة وعلومها، "ذا تكوين تراثي قديم، يدخل المحاضرة وفي جعبته ركام من المعارف التقليدية، يفرغها في منهج تقليدي انتهى عمره الافتراضي في زمن العولمة"²؛ حيث يعتمد إلى تقلم مادة

¹ سعاد عبد الكريم الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير - بين التنظير والتطبيق، ص 40.
² محمد الخناش، أسباب تدني التحصيل في اللغة العربية، ص 77.

اللغة العربية لطلبته على الطريقة التقليدية التلقينية، التي تركز على ذكر القاعدة؛ نحوية كانت أو بلاغية بعد مناقشتها وإيضاحها بالشواهد والأمثلة الجامدة والمتكررة بذكرها، وهذا ما يغيب بدوره فاعلية تدريس مادة اللغة العربية وعدم الارتقاء بالطالب إلى البعد الوظيفي في تعلّم علومها؛ فهذه "الطريقة يتعود[الطالب] المحاكاة العمياء والاعتماد على غيره، وتنعدم لديه روح الابتكار وإبداء الرأي بجرأة وصرحة"¹، وذلك يتنافى جذريا مع بيداغوجيا التعليم الحديثة، والبعد الوظيفي لمقاربات التدريس الجديدة، التي إن وُظفت طرقها وأهدافها في تعليم اللغة العربية، تمكّن المتعلّم من تمرس وتذوق فنونها واستطاع بفكره الناقد وحسّه الأدبي في الارتقاء بها ووظف معطياتها في إبداع نصوص محكمة في معمارها، بليغة في تعابيرها و أساليبها.

ومن أبرز الأهداف التي تسعى إليها المقاربات التعليمية الحديثة للغة، ذات الأداء الوظيفي، نذكر:

أولاً: هدف معرفي تذوّقي: يتمكن الطالب من إثراء رصيده المعرفي بمفاهيم ومباحث علوم اللغة العربية، مع إدراكه لأهميتها الوظيفية في إنتاجية النصّ الأدبي، مبني ومعنى، إدراكا واضحا ودقيقا، أساسه الحسّ التذوّقي والجمالي؛ من خلال تدريب المتعلّم وتمرّسه على قراءة ومحاوره روائع نصوص الأدب، الذي لا تجفّ منابعه من مواطن الجمال وسحر البيان، وينصح في سياق الحديث عن تنمية ذوق المتعلّم في قراءته لنصوص الأدب، الاهتمام بالجوانب النفسية

والوجدانية، بإبراز الجو النفسي للفكرة أو النصّ والحديث عن عاطفة الأديب وموسيقى الكلام واستجابة القارئ¹.

ثانياً: هدف إنتاجي إبداعي: يتحقق بالبعد الوظيفي والإنتاجي للمتعلم؛ بتمكّنه من إبداع نصوص أدبية تستثمر الرصيد المعرفي الذي حصّله خلال تعلّمه لمادة اللغة العربية وتعاطيه الجيّد مع علومها، مبنى ومعنى، نظرياً ووجدانياً.

ومن المعلوم بداهة، أن لتحقيق هذه الأهداف في ظل النظريات التعليمية الحديثة، لا بد من توقّر مهارات عقلية عملية، وتحصيلها مرهون بحسن استثمارها من طرف المعلم لإدراك أثر بنجاعتها على المتعلم؛ والمهارة حسب علم النفس التربوي، هي "الوصول بالعمل إلى درجة عالية من الإتقان و تيسير على المتعلم الأداء"²، حتى يجسد معطيات ما يحصّله من معارف فيما ينتجه وبشكل مثمر، فالتدريس في النهاية "عملية تواصل بين المعلم والمتعلم، ونشاط وعلاقات إنسانية متبادلة، يتم من خلاله الانتقال من حالة عقلية إلى حالة عقلية أخرى ويتم نمو المتعلم بين لحظة وأخرى نتيجة تفاعله مع مجموعة من الحوادث التعليمية التي تؤثر فيه، ومن خلال تبادل وجهات النظر ومناقشتها، وصولاً إلى الأهداف المطلوبة لإنجاح عملية التعلّم³.

ومن أهم المهارات العقلية العملية، التي يجب أن يستهدفها المعلم وينمّيها لدى المتعلم أثناء تعلّم اللغة العربية، حتى يستطيع التحصيل الجيّد والتزوّد المثمر من ضروب هذه المادّة، نذكر ما يلي:

¹ ينظر: راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامدة، فنون اللغة العربية وأساليب تدريسها بن النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، 2009، ص 326.

² عبد القادر لورسي، ومحمد زوقاي، المعجم المفصل في علم النفس وعلوم التربية، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2015، ص222.

³ ينظر: سعاد عبد الكريم الوائلي، المرجع السابق، ص39.

- مهارة القراءة:

فالقراءة؛ رأس الأنشطة التعليمية التي لا بد أن يثابر عليها المتعلم ويتمرس على فنياتها بمعية معلمه؛ لما لها من فوائد جلية؛ فهي سبيله إلى التزود بشتى المعارف والتحصيل العلمي الجيد، شرط أن تكون قراءة واعية، ناقدة ووظيفية، وإن يجد المتعلم معها المتعة والفائدة، بحيث يفيد من المادة المقروءة ويتغلغل ما نراه في أعماقه¹ وما يكفيناً تأكيداً على أهمية هذه المهارة العلمية والعملية، أن أعلى الخالق سبحانه وتعالى منزلتها؛ فكانت أول ما أُلزم به نبيه محمد (عليه الصلاة والسلام)، بداية نزول الوحي، فقال في محكم تنزيله: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (سورة العلق الآيات [1-5]).

فمن المهم أن يحرص مدرس اللغة العربية على مواظبة طلابه على هذه المهارة وحسن استثمارها وتنميتها، فهي جسهم إلى فهم النصوص الأدبية وتذوقها وإدراك مواطن الجمال فيها، وتحبيب الطالب وتعويده على قراءة الأدب الرفيع بلغته الأم، يكسب ذاته القارئة ثراءها اللفظي، وأساليبها التعبيرية، البلاغية، التي لا محالة ستنتقش - مع التكرار - رسومها بنفسه، وتبدى تجلياتها، تلقائياً بكلامه، كلما أقبل على التعبير والتواصل بهذه اللغة وكله ثقة واعتزاز بها.

- مهارة التفكير التأملي:

تتيح مهارة التفكير التأملي للمتعلم، التوصل إلى إدراك الكثير من الحقائق التي كان يجهلها واكتشاف العديد من العلاقات التي تربط بين أشياء متفرقة، وتبين طبيعة العلل التي تؤول إلى نتائج معينة في حقول معرفية مختلفة، وأهم ما

¹ عبد الرحمن بن عبد الله المالكي، مهارات التربية الإسلامية، كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر العدد: 106، ربيع الأول: 1426هـ، أيار 2005، ص72.

يسم هذه المكتسبات المتوصل إليها عن طريق مهارة التفكير؛ أنها جوهرية وعميقة، بعيدة عن السطحية والعشوائية؛ ف"من خصائص العقل أنه يتأمل فيما يدركه، ويقبله على وجوهه، ويستخرج منه بواطنه وأسراره، ويبنى عليها نتائج وأحكامه"¹؛ ومهارة التفكير كأداء عقلي - حسب ما يشير (جيمس كليف) - تمرّ بمستويات، أهمها:²

- مستوى التفكير المرتبط بالمحتوى المعرفي: ويتم في هذا النمط من التفكير، تحصيل المعرفة وفهم بنية المادة العلمية التي يتضمنها محتوى هذه المادة اللغوية.

- مستوى التفكير التأملي: وهو نمط يتجاوز فيه المتعلم الضوابط والقواعد الظاهرة التي تحكم العلاقات بين المعارف والمعلومات المستهدفة بالتعلم، إلى عمليات الاستقراء والتقويم والاستنتاج لاكتساب معلومات أخرى واستنباط قواعد معرفية جديدة لأجزاء المحتوى المعرفي للمادة المعنية.

واللغة العربية بوصفها، لغة بيانية؛ إعرابية، اشتقاقية، أو بمعنى آخر، لغة تشكلها مستويات عدّة؛ صوتية، صرفية، نحوية، دلالية، بيانية، كتابية، فإنه يتوجب على متعلمها، إدراكا لأسرارها، أن يستحضر في تعلمها جهدين؛ جهد معرفي وجداني وآخر عقلي، ومن ذلك، إتقانه مهارة التفكير التأملي؛ لأنّ التمكّن من لغتنا فهما وإبداعا، ليس بالأمر الهين إتيانه؛ ولن يهتدي المتعلم إلى أساليب اللغة ويتذوقها، دون معرفته بأبنيتها ومستوياتها المتباينة؛ فالتعليم

¹ عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، نخضة مصر، القاهرة، دت، ص 04.

² بنظر: ابتسام بنت عباس عافشي، وزينب بنت عبد اللطيف كردي، تعليم التفكير في دراسة البلاغة (دراسة تحليلية ونماذج تطبيقية)، كتاب: السجل العلمي لندوة "الدراسات البلاغية: الواقع والمأمول"، الجزء الثاني (21-22-1432/06هـ)، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية/ م.ع. السعودية، ص 1477-1478.

الكفاء ليس مجرد فهم مادة معينة والقدرة على استرجاعها والقيام ببعض الإجراءات المتضمنة فيها، لكن يتضمن توسيع الخبرة وامتدادها وهذا لا يتم تلقائياً، إنما يتطلب استخدام العمليات العقلية التي تستثير التفكير المطلوب للامتداد بالمعلومات¹ واستيعابها فهما، قبل أن يتطور الأمر ويرقى إلى مرحلة التمرس، فالإبداع.

- مهارة المناقشة (الحوار):

تبنى العملية التعليمية في علوم التربية الحديثة على مهارة المناقشة؛ فعملية اكتساب المعرفة وترسيخها لدى المتعلم، هو تقبلها والافتناع بها، ثم ترجمتها وظيفياً، فهو محور وجوهر العملية التعليمية التعليمية، ومنه؛ فالسبيل إلى تحقيق هذا، أن يمنحه المعلم فرصة المحاوره والمناقشة البناءة فيما يتعلم، وإعطائه الحرية اللازمة للمشاركة والمساهمة في بناء المعارف اللغوية وتحصيلها، وليكن معلوماً، أن المناقشة "بوصفها طريقة تدريس هي تنظيم محكم هادف وموجه للحوار والحديث بين الأفراد، فهي ليست دردشة عفوية، وإنما هي تفكير بيني على أسس واضحة محددة... كما تبنى على ثلاث ركائز أساسية، هي: -النقد والتمحيص- وضوح الغاية والقصد- المساهمة الفعالة من قبل المتعلم²، والمناقشة بهذه المواصفات، لها أثر كبير، بين على المتعلم ونفسه؛ إذ تحفزه وتعزز ثقته بنفسه وتجسّد حضوره العلمي المثمر وبأكثر ايجابية من موقف المستمع، المستهلك آلياً للمعلومة، هذا، بغض النظر عن الخصال الحميدة التي يكتسبها المتعلم من المناقشة الهادفة؛ إذ تعوّده على احترام آراء الآخر؛ بالصبر عليه وحسن الاستماع له ورحابه الصدر لما قد يبدر منه.

¹ المرجع نفسه، ص 1474.

² بنظر: سعاد عبد الكريم الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير- بين التنظير والتطبيق-، ص 61، 62.

ثالثا. الإشكال السيكولوجي (المتلقي / المتعلم):

لا يخفى على أحد منا؛ أن السواد الأعظم من طلبتنا اليوم، بدءا من أطوار تعليمهم الأولى وغاية وصولهم إلى الجامعة؛ هم يعانون عدم القدرة على الارتجال وقوفا أمام أساتذتهم وزملائهم، ليعبروا- بلسان فصيح، سليم التعبير، بأساليب لغتنا وسحر بيانها- عن حاجاتهم الشخصية، أو يعمدون إلى فتح باب الحوار وإبداء الرأي حول ما يتعلمونه، وإذا ما أقبل أحدهم على ذلك، وَقَعَ بكلامه اللحن والزلل وغابت بنات أفكاره بين ثنايا حديثه المتلثم، ومرّد ذلك؛ أنهم "فقيرون إلى الثروة اللغوية اللازمة لنجاحهم في الحياة العلمية والدينية، فقيرون إلى التذوق الأدبي، الذي يهذب نفوسهم ويشكل وجدانهم بالحس الجمالي الرفيع، فيخرجون إلى الواقع عزلا من طرائق التفكير السليمة القائمة على قوة اللغة العربية"¹، بعيدون بذواتهم عن روح الإبداع والتميز بلغتهم الأم.

فما الأسباب الكامنة وراء هذه الوضعية المتأزمة لمتعلمي اللغة العربية وعلومها؟ إن أهم عامل للتراجع والركود، الذي يشهده تدريس لغتنا العربية بمدارسنا ومؤسساتنا الجامعية اليوم، يُردّ- بنظرنا فضلا عما ذكرناه سابقا-، إلى عامل رئيس، وثيق الصلة بسيكولوجية المتعلم والتعلم، هو:- غياب الدافعية للتعلم. فما معنى ذلك من الناحية التعليمية؟

تعتبر الدافعية Motivation، من أبرز المصطلحات شيوعا بعلم النفس التعليمي، وقد تعددت تعريفاتها، بين المتناولين لها ومن وجهات نظر متباينة،

¹ راشد علي عيسى، مهارات الاتصال، كتاب الأمة؛ سلسلة دورية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر ع: 103، ط1، أكتوبر/نوفمبر 2004، ص60.

بيد أنه يمكننا أن نوجز مفهومها في تعريفين يصبّان في المجال التعليمي وسيكولوجيته:¹

المفهوم الأول لـ (زيمرمان / Zimmermann)؛ الذي يعدّها حالة ديناميكية لها أصولها في إدراكات المتعلّم لنفسه ومحيطه والتي تحثه على اختيار نشاط معيّن والإقبال عليه والاستمرار في أدائه لأجل تحقيق هدف معيّن.

أما المفهوم الثاني، فهو (لـ فيو / viau) القائل بأنّها؛ حالة داخلية تحرك أفكار ومعارف المتعلّم ووعيه وانتباهه وتحثه على مواصلة الأداء للوصول إلى حالة توازن معرفي.

الدافعية إذن؛ هي حالة من الاستعداد النفسي والتهيؤ القبلي لدى المتعلّم، بغية تحصيل معرفة معيّنة، في حقل من حقول العلوم المختلفة، مع الحرص والمثابرة على تحقيق هذا المسعى وبلوغ الهدف منه على أكمل وجه، وكما يؤكد علم النفس التربوي؛ فإنه "لا يوجد تعلّم بدون دافع، ونجاح المتعلّم في عملة يتمثل في قدرته على دفع تلاميذه نحو التعلّم لأنّ التعلّم يجب أن يكون مدفوعاً... لإحراز التفوق والإتقان"²، وتتداخل بمفهوم الدافعية هنا عدة مصطلحات؛ كالحافز والباعث والحاجة...

أما البحث عن الأسباب التي يُعزى إليها غياب دافعية تعلّم طلبتنا للغة العربية، وديمومة عزوفهم عن التزوّد من علومها وتذوّق فنونها، اتّضح لنا أن الأمر يردّ إلى جانبين رئيسيين؛ هما:

¹ ينظر: عبد القادر لورسي، المرجع في التعليمية، الزاد النفيس والسند الأنيس في علم التدريس، جسر للنشر والتوزيع الجزائر، ط/ سبتمبر 2016، ص 259-260.

² سامي محمد ملحم، سيكولوجية التعلّم والتعليم، الأسس النظرية والتطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط2، 2006، ص 148.

- أولاً: جانب داخلي (فردى):

ونعني بهذا الجانب؛ الدافع الذاتى، الذى يجسده "سعى الفرد نحو القيام بشيء معين لذاته"¹ انطلاقاً من فضولها وحب استطلاعها، فتحقق بذلك تفوقها وتميزها عن غيرها من الذوات.

ومن المؤكد؛ أن سبب تدنى مستوى تعليم اللغة العربية، وعزوف المتعلمين عنها، هو غياب هذا الدافع ببواعثه* من ذات المتعلم لها، إذ من البديهي، أن ما يتعلمه الفرد يكون أكثر جدوى حينما يكون مهتماً به، عمّا لو أُجبر على تعلمه"²، وطلبنا للأسف غير مهتمين أبداً بهذه المادة ولا يعيرونها بالآ، - لأسباب عديدة يطأها حديثنا فى العنصر الموالي-، بل مما يؤسف له؛ أن شاع بواقعا؛ أن اللغة العربية وعلومها، هي تخصص مجانى، ميسر لمن تعذر عليه أن يلج تخصصات أخرى بالجامعة. فبربكم؛ ماذا تنتظر لغة ازدهارها ذويها وحكموا عليها جهلاً، بالعقم والموت مسبقاً!؛

- ثانياً: جانب خارجى (اجتماعى):

إن كل ذات بشرية هي وليدة بيتها، بمعنى أن كل فرد له دافع الانتماء لمجتمعه، ومنه؛ فالمحيط الاجتماعى له سلطة على هذا الفرد، إذ يملئ عليه أفكاره ومواقفه، ويدفعه إلى القيام بأفعال معينة إرضاء له، وهذا ما يعبر عنه الفيلسوف "دوركايم" بمقولته الشهيرة (إذا تكلم الضمير فينا؛ فإن المجتمع هو الذى يتكلم)،

¹ سامى محمد ملحم، المرجع السابق، ص 161.

* يؤكد علماء النفس: أن الدوافع الداخلية عند الأفراد، هي من يقف وراء الانجازات المتميزة والإبداعات البشرية فى الفكر والسلوك الإنسانى، ومن هذه الدوافع: دافع الفضول - دافع الكفاءة - دافع الانجاز. ينظر: سامى محمد ملحم، م س، ص 161-162.

² عبد القادر بن محمد، دروس فى التربية وعلم النفس، م. التكوين والتربية خارج التربية خارج المدرسة، الطباعة الشعبية للحيش، الجزائر، 1973-1974، ص 112.

فـ "الضمير يوجد بالفرد كمكون من مكونات شخصيته أو كنسق يمثل المبادئ الخلقية، ويدعو لانضباط السلوك وفق معاييرها، وعدم الخروج عن الأعراف والقيم الأخلاقية التي تواضع عليها المجتمع، ممثلاً في الوالدين أو من يقوم مقامهما"¹...

وبناءً على هذه المعطيات، نشير إلى إشكال اجتماعي خطير، هو أصل تدني تعليم لغة الضاد، وسبب انحطاط مستوى طلبتنا في علومها؛ ويشترك في التأسيس لهذا الإشكال، عدة عوامل أهمها:

- المجتمعات العربية؛ فهي المسؤول الأول عن غياب دافعية تعلّم أبنائها للغتهم الأم، والاهتمام بعلومها ومنها علم البلاغة العربية؛ فهذه المجتمعات ورثت أجيالها، نظرة خاطئة عن لغتهم، وغدّت عقولهم بأفكار مسمومة اتجاهها، إذ أغلبية أفرادها يرى في هذه اللغة وعلومها، تخصص عديم الجدوى وأنها ليست بلغة علم؛ فهي لا تستوعب بعلومها التطور العلمي والمعرفي الذي يشهده العالم، فحصرها بذلك دورها على الكتابات والزوايا؛ وعدّت برأيهم "لغة سلفية جامدة تتطلع إلى الوراء بدلا من أن تتجه إلى الأمام"²، وهذا التفكير السلبي اتجاه اللغة العربية وعلومها، قد وجد طريقه إلى أذهان المتعلمين بهذه اللغة، فانعكس ذلك بالسلب على تعلّمهم لها وتحصيلهم فيها.

- سوء توجيه الآباء لأبنائهم دراسياً؛ إذ يتجنب الكثير منهم تخصص اللغة العربية وعلومها، ولو نبغ أبناؤهم فيها، ويتم توجيههم إلى تخصصات علمية، تتنافى مع رغباتهم المعرفية، هذا، مقابل الإعلاء من شأن تعلم لغات الأخرى؛

¹ فرج عبد القادر طه وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، ط1، ص257.

² ينظر: رمضان عبد التواب، دراسات وتعليقات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1994، ص157.

"بدعوى الانفتاح على العالم الخارجي وتكثيف الاتصال به، للتعرف على مسيرة تقدمه وتطوره"¹، والأمر هنا يتجاوز مسألة الانفتاح على الآخر، إذ لو كان ذلك حقاً، لحققنا لمجتمعاتنا ما حققه غيرنا من تطور فعلاً، وإنما المسألة كما عبّر عنها ابن خلدون؛ هي "أنّ النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وانتقادت له؛ إمّا لنظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو الكمال الغالب"²، وبين هذا التبرير وذاك، يسوّغ هؤلاء لمشروع استعماري، محكم التخطيط؛ فالمستعمر لم يكن غافلاً عن الارتباط الوثيق بين اللغة والفكر، وقد فرض لغاته على التعليم ليربي الشعب العربي على التبعية له"³، ويحول بينه وبين صلته بثوابت أمته، ومنها لغته؛ "فاختلاف اللسان يوقع اختلاف الفهم، ويبعد عن الميراث القومي، ويجعل المواطن مرتبطاً أشد الارتباط باللغة الغالبة على ذهنه، المتمكنة من نفسه، القائمة في شعوره وعواطفه، فيقرأ هذا المواطن لغة القوم الأجانب وحدها"⁴، ويزداد بعده عن لغته ثمّ هويته، وهذا مبتغى الآخر الذي يستهدف الأمة العربية في ثوابتها، والذي لم ييأس من محاولات بسط نفوذ لغته وثقافته بمجتمعاتنا، كشكل من أشكال الاستعمار الفكري في زمن العولمة، وقد وجد الفرصة سانحة لذلك؛ فهناك قابلية واستعداد لأفراد مجتمعنا ولو على سبيل اللاوعي في التنكّر للغتنا وثوابت أمتنا، ويتجلى ذلك كما يقول عبد القادر الفاسي الفهري في "هجرة أواهتجار دائم إلى كل ما هو أجنبي... واللغة العربية من العناصر

¹ زهير حسن الحروب، تأملات في التربية العربية (دراسة نقدية تحليلية لبعض أمراض التربية)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن/ عمان، ط1، 2015، ص24.

² ابن خلدون، المقدمة، دار ابن الجوزي للطبع والنشر، القاهرة، ط1، ص121.

³ زهير حسن الحروب، المرجع السابق، ص24.

⁴ سامي الدّهان، المرجع في تدريس اللغة العربية، مكتبة أطلس، دمشق، 1962-1963م، ص32.

الأساسية في هذا الصراع، فهناك انتشار للأجنبية، وأحيانا استعمال العامية أو استعمال الأمازيغية ضد الفصحى. هناك إدكاء للصراع في مستويين: مستوى صراع داخل السنن الهوية وصراع السنن الهوية واللغات الأجنبية¹، وفي خضم هذا الصراع عُيِّت اللغة العربية من السنن ذويها، فأمست العجمة لديهم متأصلة وصارت الضّاد:

عربية تلد الأعاجم بعدما ولدت لنا حرا كريما أعظما*

واقع تعليم لغتنا بالوسط المدرسي والجامعي عندنا مؤلم جدا، لا يحفز إطلاقا على النهوض بتعليمية هذه المادّة، وذلك لما نلمسه بجامعةنا من سلوكيات، نتقص من تدريس اللغة العربية وعلومها؛ كافتقار بعض أساتذة اللغة العربية إلى روح الإبداع والإتقان في تعليمها أو انتقاء نصوص أدبية حديثة، تحقق شرط التذوق الفني والجمالي وتنميه عند الطالب، بل أغلبهم يعيد "اجترار تلك الشواهد المقرّعة، الممزّعة التي تكررت في كتب البلاغة"² أو النحو العربي، ويا ليت الأمر توقف هنا، بل أكثرهم يعمد إلى تلقين طلابه علوم هذه اللغة، بـ"العامية أو الدارجة"؛ فيؤذي بذلك اللغة وينقر متعلّميها، كما يلغي عن شخصه مبدأ اقتداء التلميذ بمعلّمه والطالب بأستاذه.

ولاشك أنّ باعث اللامبالاة المقصودة أو غير المقصودة عند بعض مدرّسي اللغة العربية وعلومها حديثا، هو تصوّرهم بأن رسالة التعليم هي مهنة، الفائدة منها، الربح المادي، وقد كرّس هذا التصوّر الوضع المتردي اقتصاديا واجتماعيا،

¹ عبد القادر الفاسي الفهري، حوار اللغة، إعداد حافظ الإسماعيلي العلوي، منشورات الزاوية، الرباط، ط2، 2007، ص164.

² أبيات بعنوان: "الفصحى تنادي" للشاعر عبد المنعم مجاور، المجلة الشهرية الكويتية "الوعي الإسلامي"، العدد(621)، جمادى الأولى 1438هـ/ فبراير 2017م، ص62.

² عبد المالك مرتاض، نظرية البلاغة، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران/ الجزائر، ط2، 2010، ص09.

فكان انشغال المعلم بالبحث عن رغيف الخبز استمرارا للحياة من الأولويات المقدمة على العلم والمعرفة والإبداع في مجاهدهما، لكن في الحقيقة، هذا ليس مسوغا أو مبررا لذلك؛ فالمعلم رسالته سامية ومنزلة جد عظيمة والخطأ من طرفه أعظم؛ "فهو فنان يرسم الطريق ويهيم اللوحة بأجمل الألوان وأزهى الأشكال والطالب بين يديه مثل قطعة قماش بيضاء يرسم على وجهها بريشته الباردة ما يريد من معلومات، تزيد الجمال عمقا وسعة في التفكير وتلونا في الأدب"¹، ومهما كان المدرس أمينا في رسالته، عارفا بمكانة لغته، يجيدها حديثا وممارسة، وبما يعلي من شأنها عند طلبته، اعتزوا بها وأقبلوا عليها إقبال النحل على الخلية؛ ف"الطالب العربي لا بد أن يدرك عظمة قومه بين الأمم وعظمة لغته بين اللغات، لأنها ليست قليلة في الأزمان وليست قليلة في الرقعة، وليست ضعيفة النتائج"² وإنما من سوء حظها، أنها ابتليت في زمننا هذا، بقوم يجهلون مكانتها وقيمتها بين سائر اللغات، فنعوها وسارعوا في تشييع مثواها، لكن الله خير حافظ لها.

إن كل السلوكيات الخاطئة، سواء التي أشرنا إليها أو التي لم نذكرها، أكان مصدرها الوسط الأسري أو المجتمع أو الوسط التعليمي، فإن مفعولها يطل الذات المتعلمة، ويمسني من مكتسباتها التعليمية، لكن ليس في رصيد حوافرها الإيجابية، وإنما في رصيدها السلبي، وستظل هذه الذات مؤمنة بمضامين هذه المكتسبات، تُقدِّم على إتيانها بين الفينة والأخرى، كلما راودت الذات حضورها،

¹ ينظر، سامي الدّهان، المرجع في تدريس اللغة العربية، ص 39.

² المرجع نفسه، ص 39.

كمنبهات فاعلة، فالتعلم في النهاية؛ عملية تحصيل واكتساب، وكما نكتسب من خلاله ما يكون حافزا ايجابيا، يجب لأنفسنا أشياء ويدفعنا دفعا قويا إلى تحصيلها أو الإبداع فيها، فإننا نكتسب من خلاله أيضا ما يكون حافزا سلبيا يفرنا من أشياء أخرى، ويشيع بدواخلنا كرهها، فننصرف عنها كلياً.

صفوة القول: إن من توصياتنا ومقترحاتنا التي نبديها في ختام هذه الورقة البحثية، بناءً على ما أثرنه بمحاورها من إشكالات سادت واقع تعليمية اللغة العربية حديثاً، هي أن السبيل إلى النهوض بتعليمها وتعلمها؛ والارتقاء بها معرفياً وبيداغوجياً، يلزمنا بانتهاج الآتي:

- اعتماد محتوى معرفي تعليمي، يعول في أهدافه على انفتاح المتعلم على لغة تعنى بالنص وبوصف وتحليل الخطاب الأدبي بشموليته، بعيداً كل البعد عن الطابع التقعيدي والنزوع المعياري الذي استقرّ على الجملة واعتنى بتداول الشواهد واجترارها في تدريس علوم لغتنا ردحا من الزمن.

- انتقاء نصوص وخطابات أدبية عربية تعليمية، تتماشى مع حاضر المتعلم وسياقاته المتعددة.

- تفعيل المعلم لمهارات المتعلم المشجعة على فهم علوم اللغة العربية، وتطوير آليات قراءة الخطاب الأدبي؛ ومن هذه المهارات: القراءة الوظيفية الإنتاجية، التفكير التأملي، الحوار الهادف والمناقشة البناءة؛ المنفتحة على النقد والتمحيص والتحليل والاستنتاج والاستنباط، والتركيب والبناء...

- الارتقاء بمهارة التذوق الفني والجمالي لدى المتعلم، عند محاوراته للنص الأدبي العربي؛ تحبباً له في الدرس اللغوي العربي وموضوعاته، وتعزيزاً لمتعة وجمالية القراءة الأدبية؛ فأسمى غايات وأهداف تعليم اللغة العربية، تنمية الذوق الأدبي لدى المتلقي (المتعلم) ومراعاة أثره على نفسه.

- تطبيق الطرائق التربوية الحديثة واستثمار التقنيات التكنولوجية في تعليم اللغة العربية وعلومها.
- تحفيز الطالب العربي على تعلم لغته والإبداع في مجالها، موازاة مع تفعيل الحكومات العربية لمخطط سياسي لغوي، يتجاوز التصريح بما تحفظه دساتيرها للغة العربية، وهما لا واقعا، وذلك بالإعلاء الفعلي من منزلتها بين سائر اللغات و بالتمكين لها بين أهلها وفي مختلف القطاعات.
- تكريم أهل الإبداع بهذه اللغة، وإتاحة فرص العمل وتكثيفها للنخبة المتقنة لها، سياسيا واقتصاديا.
- إلزامية تكوين وإعداد الأساتذة المدرسين باللغة العربية، وتنظيم دورات تدريبية لموظفي القطاع الإعلامي الناطقين بها؛ سواء في المجال المكتوب أو المسموع أو المرئي، وعدم التسامح معهم فيما يرتكبونه من جرائم لغوية لا تغتفر في حق لغة القرآن؛ ذخر الأمة وجوهر هويتها.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم، (محمد حافظ)، المؤلفات الكاملة (الديوان)، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، القاهرة، د.ت.
- ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، الجزء الأول.
- ابن خلدون، المقدمة، دار ابن الجوزي للطبع والنشر، القاهرة، ط1.
- ابن منظور: لسان العرب، تصحيح واعتناء: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، (الجزء الثاني عشر)، ط 03، 1419هـ، 1999م.
- أحمد قايد، (نور الدين) وسبيعي، (حكيمة)، التعليمية وعلاقتها بالأداء البيداغوجي والتربية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 08، 2010م.
- الثعالبي، (أبو منصور)، فقه اللغة وسر العربية، ت: خالد فهمي، ج01، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط01، 1418هـ، 1998م..

أعمال الندوة العلمية الدولية حول موضوع "التعليمية ودورها في تنمية كفاءة المدرس"

- المرزحاني، (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007م.
- الخناش، (محمد)، أسباب تدني التحصيل في اللغة العربية (قراءة في الواقع التعليمي العربي)، بحث منشور على الإنترنت، بصيغة pdf.
- الخزافي، (صالح)، اللغة العربية هويتنا القومية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ندوة من قضايا اللغة العربية المعاصرة، تونس، 1990م.
- الذهان (سامي)، المرجع في تدريس اللغة العربية، مكتبة أطلس، دمشق، 1962-1963م.
- السيد، (محمود أحمد)، في قضايا اللغة التربوية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980م.
- السيد، (محمود)، اللغة العربية (واقعا وارتقاء)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2010م.
- العقاد، (عباس محمود)، التفكير فريضة إسلامية، نخضة مصر، القاهرة، دت.
- الفاسي الفهري، (عبد القادر)، حوار اللغة، إعداد حافيط الإسماعيلي العلوي، منشورات الزاوية، الرباط، ط1، 2007م.
- الوعي الإسلامي: مجلة شهرية كويتية، العدد (621)، جمادى الأولى 1438هـ/ فبراير 2017م.
- بن عبد الله المالكي، (عبد الرحمن)، مهارات التربية الإسلامية، كتاب الأمة، سلسلة دورية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر العدد: 106، ربيع الأول: 1426هـ، أيار 2005م.
- بن محمد، (عبد القادر)، دروس في التربية وعلم النفس، م. التكوين والتربية خارج التربية خارج المدرسة، الطباعة الشعبية للجهش، الجزائر، 1973-1974م.
- بنت عباس عافشي، (ابتسام)، وبت عبد اللطيف كردي (زينب)، تعليم التفكير في دراسة البلاغة (دراسة تحليلية ونماذج تطبيقية)، كتاب: السجل العلمي لندوة "الدراسات البلاغية: الواقع والمأمول"، الجزء الثاني (21-22-1432/06هـ)، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية/ المملكة العربية السعودية.
- حسن الحروب، (زهير)، تأملات في التربية العربية (دراسة نقدية تحليلية لبعض أمراض التربية)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن/ عمان، ط1، 2015م.
- شاهين، (عبد الصبور)، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، دت.
- ضيف، (شوقي)، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط09، دت.
- عالم، (محمود أمين)، دفاع عن الخصوصية اللغوية، عن كتاب: لغتنا العربية في معركة الحياة، العدد (السابع والثامن عشر)، سلسلة قضايا فكرية للنشر، القاهرة، 1997.
- عبد التواب، (رمضان)، دراسات وتعليقات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1994م.
- عبد القادر طه، (فرج) وآخرون، معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، ط1. دت.

أعمال الندوة العلمية الدولية حول موضوع "التعليمية ودورها في تنمية كفاءة المدرس"

- عبد الكريم الوائلي، (سعاد)، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير- بين التنظير والتطبيق-، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط1، 2004م.
- عبد المطلب، (محمد)، البلاغة والأسلوبية، الشركة العالمية للنشر(لونجمان)، بيروت، ط1، 1994م.
- عبده عوض، (أحمد)، مدخل تعليم اللغة العربية (دراسة مسحية نقدية)، سلسلة البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، المملكة العربية السعودية، 1421هـ، 2000م.
- علي عيسى، (راشد)، مهارات الاتصال، كتاب الأمة؛ سلسلة دورية تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد: 103، ط1، أكتوبر/ نوفمبر 2004م.
- قاسم عاشور، (راتب) والحوامدة، (محمد فؤاد)، فنون اللغة العربية وأساليب تدريسها بن النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، 2009م.
- لورسي، (عبد القادر)، المرجع في التعليمية، الزاد النفيس والسند الأنيس في علم التدريس، جسور للنشر والتوزيع الجزائر، ط/ سبتمبر 2016م.
- لورسي، (عبد القادر)، وزوقاي، (محمد)، المعجم المفصل في علم النفس وعلوم التربية، جسور للنشر، الجزائر، ط01، 2015م.
- محمد ملحم، (سامي)، سيكولوجية التعلّم والتعليم، الأسس النظرية والتطبيقية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط2، 2006م.
- مرتاض، (عبد المالك)، نظرية البلاغة، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران/ الجزائر، ط2، 2010، ص09.
- مجموعة من المؤلفين، كتاب السجل العلمي لندوة (الدراسات البلاغية: الواقع والمأمول)، جزءان (21-22-1432/06هـ)، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية/ كلية اللغة العربية/ المملكة العربية السعودية.

التعليمية ودورها في تنمية كفاءة

الكتاب السنوي
الثالث



في هذا الكتاب

"التعليمية ودورها في تنمية كفاءة المُدرّس" عنوان ندوة علمية دولية نظّمها المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات بالمهدية بالاشتراك مع جمعية الإبداع الثقافي وكلية علوم التربية بجامعة محمد الخامس بالرباط، وذلك يومي 1 و2 نوفمبر 2018، وقد شارك فيها باحثون في الاختصاص من تونس ومن دول شقيقة كالمغرب والجزائر والسعودية. وتساهم هذه الندوة في تدعيم التكوين الأكاديمي الذي يتلقاه طلبة الإجازة التطبيقية في التربية والتعليم بالجامعة التونسية في مجالات علوم التربية وذلك من أجل تكوين جيل كفاء من أساتذة المدارس الابتدائية يكون قادرا على النهوض بواقع التعليم في وطنه. ...ولئن تنوّعت عناوين مُداخلات الندوة فإن الواصل بينها هو العلاقة بين التعليمية والبيداغوجيا من جهة وبين التعليمية وكفاءة المدرّس من جهة ثانية، وما تُشير هذه العلاقة من قضايا مُتشعبة تتصلُّ بالأساس بصعوبات التعلّم لدى الناطقين باللغة العربية ولغير الناطقين بها، وبالنقل التعليمي في تعليم العربية، وبالتكنولوجيا الحديثة ودورها في تنمية جودة التدريس، وبغيرها من المسائل ذات الصلة. وقد حرص أعضاء لجنّتي التنظيم والتحكيم إثر انتهاء فعاليات الندوة على نشر أهم أعمالها في كُتيب يكون وثيقة دالة على القيمة المعرفية لتلك الأعمال، ومرجعًا علميًا لكلّ الباحثين المهتمين بالشأن التربوي، وحة دالة على الجهد المشترك بين المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الانسانيات بالمهدية وجمعية الإبداع الثقافي في إصدار الكتاب ونشر المعرفة رغم المصاعب المتنوعة.

ISBN: 978-9973-0930-2-8



9 789973 093028

الثلث: 15 د.ت € 20